

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ يا عزامُ

بقلم

أوَّاب بن حسن الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك سلام الله يا عزام

فواز المسعودي العتيبي ..المكنى بـ (عزام النجدي) .. فارس من فرسان الاستشهاديين ، وأسد من أسود الله الانغماسيين .. من جزيرة العرب .. ومن نجد الرياض خصوصا ..



شرفني الله - جل شأنه – بصحبته غِبّ أن عرفني به أحد طلبة العلم الفضلاء بمدينة الرياض عام تسعة وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (١٤٢٩هـ) ..

كان – تقبله الله – تاجراً يتاجر في بيع الخضروات ويتكسب المال الحلال بذلك تورعاً من مخالطة الوظائف الحكومية التي يستذل بها طواغيت آل سعود رقاب المسلمين ..

وحينما حزمت أمتعتي استعداداً للنفير المتعين إلى أفغانستان أخبرني صديقي بأن (عزام) يرغب بالنفير منذ زمن طويل ، لكن الطواغيت حالوا بينه وبين سوح الجهاد ، وبأنه كان يكتم رغبته تلك لأسباب إيمانية وأمنية لا تخفى .. !! ... لسان حاله يقول :

إن موت الفراش ذلٌ وعارٌ ... وهو تحت السيوف فضلٌ شريف



استخرت الله أنا ورفيق دربي في استصحاب (عزام) معنا في درب النفير ولم يكن لنا بد في ذلك ، حيث أن (عزام) كان عازماً على المضي معنا على أي حال ، بل إنه – تقبله الله – أخبرني بأنه سيخرج بجميع ماله الذي اكتسبه في تجارته المذكورة آنفا ، وأنه على أتم الجاهزية والاستعداد للخروج في سبيل الله .. هنالك حملنا الأمتعة ودعونا الله عز وجل أن يصحبنا حفظه ورحمته في سفرنا الخطير .

بدأنا سفرنا الذي أسفر لنا عن المحاسن اليوسفية التي حطت رحالها في أخينا المجاهد العظيم (عزام النجدي) ، فكان – تقبله الله – يروح عنا عناء السفر بأناشيده الجميلة وأشعاره الحماسية ومزاحه اللطيف .. ولا أزال أذكر صوته وهو يحدو حداء السابقين :

الحور ملئ عيوني ... والنور ملئ جفوني

وما فتئت ترنيمة حدائه ترن في أذني ونحن على المشارف الخرسانية وهو يحدو لنا :

عليك مني ســلام ... يـا أرض أفغــان

ففيك طاب المقام ... وطــاب جـــهادي

أهوى حنين الجبــل ... أهوى عيون العسل

أهوى أزيز القرينـوف ... والرشــاش العادي



وصلنا بحمد اللّه وفضله إلى عرين الأسود في جبال أفغانستان ، وهناك يسر الباري لمجموعتنا أن تتم فصول إعدادها العسكري التأسيسي .. وبعدها شاء اللّه أن أفترق عن الأخ العزيز (عزام) .. ومع اقتراب دخول فصل الصيف لعام ثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة – على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، توشح (عزام) جعْبَته ، وامتشقَ سِلاحه

ليكون من أوائل المجموعات التي بدأت القتال في ولاية (زابل) الجنوبية مع إخوانه المجاهدين هناك .. ومن (زابل) أرسل لي رسالته المفعمة بالأشواق والمحبة وبشائر النصر والفتوحات التي أتمها اللّه على أيديهم في ذلك الصيف الحار الملتهب على أعداء اللّه .. وكان من ذلك فتحهم لمركز الجيش الوثني في مديرية (أرغنداب) بولاية (زابل) والتي استشهد فيها الأخ الهزبر أبو عامر النجدي – تقبله اللّه – ونصبهم لعدد من الكمائن والإغارات المفاجئة على إمدادات العدو الصليبي وعملائه المرتدين ..

وبعد انقضاء صيف ذلك العام يسر اللّه لي اللقاء بالأخ العزيز (عزام) وقصّ عليّ تفاصيل عملياتهم في (زابل) وما رافقها من أحداث ، لكنني وأنا أتحدث معه هذه المرة لمست فيه تغيراً جذرياً في أسلوبه وحياته .. فليس الذي يحدثني الآن هو صاحبي الذي عرفته بجزيرة العرب ..

رأى (عزام) في (زابل) كيف ينصر اللّه عز وجل الفئة القليلة على الجموع الغفيرة ، وهناك استنشق (عزام) روائح الشهادة والقتل في سبيل اللّه حينما استشهد بعض رفقائه في الجهاد .. أيقن هنالك أن ما عند اللّه لا ينال إلا بالبيع الحقيقي الذي تسلم فيه البضاعة دون تردد لمشتريها .. وعندها حسم (عزام) خياره ، فسجل اسمه في قائمة طلاب الجنة وعشاق الحور ، أعني قائمة الاستشهاديين ، وانتقل بذلك إلى كتيبتهم الذهبية لينتظر دوره في التنفيذ ..

ترى في عينيه قول الشاعر وهو يدعو ربه :

فيا رب لا تجعل حياتي دنيئةً ... ولا ميتتي يا رب بين النوائح

ولكن صريعاً بين أرماح فتيةٍ ... طوال القنا من فوق أدهم قادح



كم هي الدنيا زهيدة حقيرة في أعين هؤلاء الانغماسيين !!؟

تراهم ينظرون إليها شزراً كأنهم ما عاشوا بها طرفة عين !!

عجيب واللّه أمر الاستشهاديين !!

وأيم اللّه أني كلما حاولت أن أصل إلى مستوى تفكيرهم ودقة نظرهم عاودني التفكير كليلاً حسيرا !! ... اللهم اسلك بنا سبيلهم .. آمين.

عاش (عزام) بقية أيامه بين المجاهدين ، وكان من وفائه وحسن صداقته لا يصرم عني حبال التواصل والمودة ، مرة بالرسائل ومرة بالهدايا التي يبعثها إليَّ .. وتاللّه لو لم يكن في صحبة القوم إلا ذلك لكفى بها هدية وأية هدية !!؟ ... وصدق الشافعي إذ قال :

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

انسلخ العام برمته وبدا في الأفق هلال عام جديد .. إنه عام ألف وأربعمائة وواحد وثلاثين من الهجرة النبوية ، ومع مطلع شهر رمضان

لهذا العام قرر الإخوة العسكريون من قادة تنظيم قاعدة الجهاد بأن ينفذوا غزوة فدائية على مقر مطار (باجرام) غربي (كابل) انتقاماً لكتاب اللّه الكريم وعرض رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الذَيْنِ لطالما مُسَّا بسوء من قبل الصليبيين .. كانت العملية تستدعي عدداً كبيراً من الفدائيين فضلا عن ثلة من الاستشهاديين وبعض الانغماسيين .. تم التشاور بين القادة .. وتم العزم على اختيار (عزام النجدي) من ضمن الانغماسيين .. ثم نفذت العملية !!!



كان من تقدير اللّه سبحانه أن يعود (عزام) بعد معركة شرسة مع الأمريكان في مطار (باجرام) ، وقد أسفرت العملية عن مقتل الكثير من أعداء اللّه ، واستشهاد عدد من الاستشهاديين الذين فتحوا بمركباتهم وأحزمتهم الناسفة بوابات مطار العدو لإخوانهم الانغماسيين من خلفهم ، وبعد انتهاء هذه المعركة الرهيبة استطاعت الليوث الغازية أن تنسحب بأعجوبة من ميدان المعركة .. وفي طريق عودتهم حصل عليهم إنزال جوي من قوات الكاماندوز الأمريكية فكان (عزام) ممن سلم مرة ثانية وعاد لإخوانه بسلام .

لم تنثن عزيمة (عزام) لأنه عزَّام ، وصدق الشاعر حيث قال :

عَلى قدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... وتَأتي علَى قدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها ... وتَصْغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

فكرر طلبه مرة أخرى بأن ينفذ عملية استشهادية .. ويسر اللّه له الدخول في عملية أخرى بولاية (خوست) شرقي أفغانستان مع مجموعة انغماسية على مركز أمريكي ، ويشاء اللّه ثانية أن يقتل إخوان عزام ويعود هو سالماً كما عاد في المرة الأولى ، وكأن اللّه يمتحن عزمه وإرادته !!

عاد الأسد من جديد إلى عرينه ، وعاش سنة أخرى بين إخوانه المجاهدين ، والشوق والحنين إلى لقاء ربه ما زال يحدو به ويشغله عن معافسة الدنيا وصوارفها .. وأذكر هنا أنه بعث لي برسالة وصال ونصح ، وكان مما أشار فيها أن الذنوب تحول بين العبد وبين لقاء ربه ، وأن المنبغي علينا معشر المجاهدين أن نزكي أنفسنا من الشوائب ، وأن يزين المرء نفسه بالطاعة كما يزين البائع بضاعته حتى يتسنى للمشتري أن يتخذ البضاعة الحسنة ، فكانت كلماته تعمل في قلبي الأعاميل على أنه كان عامّيّاً بسيطاً ولم يكن ذا ثقافة واطلاع واسع ، فسبحان من يفتح على قلوب عباده !!

وما أن أشرق العام الجديد ، ودنا فصل الربيع ، وحط الصيف رحاله بيننا ، وإذ بـ (عزام) العزّام يعزم على محاولة ثالثة لعل اللّه أن يصطفيه فيها شهيدا ، ومن حسن حظه ونصيبه أنه وجد بعض الإخوة بصدد تنفيذ عملية استشهادية في ولاية (غزني) ، فصمم على أن يكون شريكا لهم في عمليتهم ، فقبلوه ، وفي طريقهم إلى (غزني) قتل بعض مجموعته في إنزال جوي للقوات الصليبية ، فتأجلت العملية بسبب هذا الحادث ، فعاد للمرة الثالثة وهو يَكِلُ الأمورَ إلى مولاه .

مضت أشهر معدودة بعد هذه الحادثة .. والعزيمة الحديدية الصلبة لم تلن في الفارس المغوار ، وكعادة المجاهدين لا يكلون ولا يمسهم النصب من القعود للكافرين في كل مرصد ، وكان من بديع قضاء الله عز وجل أن وجد المجاهدون قاعدة أمريكية كبيرة بولاية (خوست) سهلة المنال ، يتيسر اقتحامها ونسفها لأجل غفلة العدو عن ثغرات بها .

إنها قاعدة (سحر آباد) بولاية (خوست) شرقي أفغانستان ... قاعدة عسكرية كبيرة وبها مدرج كبير للطائرات الصليبية بأنواعها .. إضافة لعدد كبير جدا من الصليبيين الذين يقطنون ويعملون في القاعدة كعسكريين ومهندسين وإداريين .. زد على ذلك مركز مجاور للإستخبارات الأمريكية والأفغانية العميلة المرتدة ، وعدد من عبيد الأمريكان من الأفغان المرتدين .



انتهت مرحلة الترصد الكامل ، وبدأت مرحلة الإعداد ، وانتخب لهذه العملية الكبير عشرة من المنغمسة في العدو مع استشهادي يفتح البوابة للمنغمسة بشاحنة محملة بالمتفجرات زنتها سبعة أطنان .

تمت جميع المراحل الأولية الإعدادية للعملية ، وكذلك تم تدريب المنغمسين تدريباً عسكرياً جيداً ، وكان من أولئك الليث الهصور ، صاحب العزيمة والتصميم الأخ (عزام النجدي) .

انطلق الفدائيون إلى قاعدة (سحر آباد) في وقت الظهيرة ، والصليبيون منشغلون بتناول طعام الغداء في مطعم القاعدة .. ففجر الاستشهادي شاحنته على بوابة القاعدة .. وبعد ذلك بدقائق معدودة وصلت سيارة الانغماسيين التي كانت عبارة عن (باص) فنزل منها الانغماسيون العشرة وقاموا بحرق سيارتهم إحياء لذكرى طارق بن زياد الذي عقر فرسه قطعاً لداعي الرجوع والفرار من أرض المعركة ..



ثم تقدم الفرسان تجاه القاعدة فدخلوها بسلام دون أن يطلقوا طلقة واحدة ، إذ إن الاستشهادي – تقبله الله – قد أحال البوابة ومن حولها من جند وحرس إلى أثر بعد عين ، وهكذا واصل الشجعان دخولهم وبدأوا بالاشتباك والإجهاز على جرحى العدو في داخل القاعدة ، ثم تقصد بعضهم الطائرات فدمروا عدداً من طائرات العدو ولاذت بعضها بالفرار – وكل ذلك مصور تصويراً مرئياً وقد تم نشر ذلك في إصدار أصدرته مؤسسة (منبع الجهاد) ومنه اقتبسنا هذه الصور – وهكذا مكث القتال يوماً كاملاً في القاعدة وما انتهت المعركة حتى استعان الصليبيون الجبناء كعادتهم في كل قتال بالطائرات المقاتلة وما يدار بدون طيار حتى استشهد الإخوة جميعاً – عليهم رحمات اللّه تترى .

مضى عزام النجدي بعزمه العُمَرِيِّ ، ومضى معه إخوانه العشرة ثلاث من المهاجرين وسبعة من الأنصار – نسأل اللّه لهم أن يتقبلهم وأن يعلي درجتهم وأن يسلك بنا وبكم سبيلهم – مضى عزام وهو يستحسن قول أبي فراس :

متى ما يدن من أجلي كتابي ... أمت بين الأسنة والأعنة



مضى الليث الهزبر وهو في ريعان شبابه ، قد طلق الدنيا وما عليها ليعلمنا دروساً في العزيمة والتصميم على الشهادة والإباء .. فسلام الله عليك يا عزام ...

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبـــر

عليك ســـلام الله وقــفاً فإننـــي ... رأيت الكريم الحر ليس له عمر



مضيت أيها الأخ العزيز وتركتني وحيداً أعاني تباريح الأمس الغابر ... وذكريات العز الحاضر ...

مضيت عزيزي وفارقتنا رغبة فيما عند الله .. فسلام الله عليك ... كيفما مضيت .. وأينما مضيت .. سلاماً سلاماً ياعزام ...

رأيت سيوف البين عند فراقنا ... بأيدي جنود الشوق بالموت نلمع

عليك سلام الله مني مضاعفاً ... إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع



كتبه :

أوّاب بن حسن الحسني

نورستان ١٦/١/١٤٣٤هـ